التحذير من خطر

الخوارج

فضيلة الشيخ
أسامة بن سعود العمري

miraath.net
ميراث الأنبياء
قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء
Miraath.Net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسرُّ مَوْقِعَ مِيرَاثِ الأَنبِيَاءِ أَن يُقَدِّمَ لَكُم تَسْجِيلًا لمحاضرة بعنوان :

التحذير من خطر الخوارج

ألقاها

فضيلة الشيخ: أسامة بن سعود العمري

-حفظه الله تعالى-

يوم الخميس الرابع عشر من شهر شوال عام ستة وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية

بالجهراء بدولة الكويت.

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينفع بها الجميع .

بسم الله الرحمن الرحيم إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى جاءه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد معاشر الفضلاء:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فإن من تمام سروري أن أكون بين إخواني في هذه الجلسة المباركة بإذن الله -سبحانه وتعالى-، وستكون هذه الكلمة وهي مدارسة في باب من أبواب العقيدة وفي مقالة من مقالات الفرق ألا وهي مقالة الخوارج، وما في هذه المقالة من كلام أهل العلم -رحمهم الله عز وجل- وقبل ذلك ما في هذه المقالة من كلام رسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه- فإن المقالات التي تتحدث عن الفرق قد ذكرها علماء العقائد في علم المقالات، ومعلوم أن الخوارج من هذه الفرقة هي إحدى أصول الفرق التي خرجت عن نهج رسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه-، وخرجت عن طريقة السلف الصالح -رحمهم الله عز وجل-.

فأقول وبالله أستعين:

لم يختلف العلماء قديمًا وحديثًا؛ وأعني بالعلماء علماء أهل السنة، فإن العلماء هم علماء السنة، والرجال كما قال بعض السلف لما سئل عن الرجال فقال: **"الرجل هو من كان على السنة"**، فإذا ذكر السنيُّ العلماءَ فإنه بلا شك يقصد السني علماء أهل السنة، وأما علماء الباطل فإنه ليس لهم في مجالس أهل العلم ومجالس طلاب العلم من أهل السنة ذكر إلا بالتنفير منهم

وبالتحذير منهم وبالتشريد وكذلك بهجرهم، فالمقصود بالعلماء الذين يذكرونهم أهل السنة هم علماء أهل السنة والحديث، وهذا هو كلام الآجري -رحمه الله-فإنه قال -رحمه الله-: **"لم يختلف العلماء قديمًا وحديثًا أن الخوارج قوم سوء عصاة لله – تعالى- ولرسوله- صلى الله عليه وسلم-"**

لم يختلف أهل العلم في ذلك، فمن يأتي الآن ويقول إن الخوارج على خير، أو إن الخوارج عندهم شيء من الخير أو أنهم يدخلون في أهل السنة والجماعة فإن ذلك قد خالف ما عليه رسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه-؛ لأنه قد حذر من الخوارج كما سوف يأتينا بإذن الله -سبحانه وتعالى- في ثنايا الكلمة، كذلك العلماء -رحمهم الله تعالى- قد اتفقوا على ذلك على أن الخوارج كما قال الآجري -رحمه الله-: **"لم يختلف العلماء قديمًا وحديثًا أن الخوارج قوم سوء عصاة لله ولرسوله-صلى الله عليه وسلم-"** وأنهم من أهل الأهواء والبدع، وإن صلوا وصاموا، وإن اجتهدوا في الطاعة والعبادة، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن إظهارهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو ما يكون منهم من صلاة أو اجتهاد في العبادة لا يخرجهم عن مسمى أهل البدع والأهواء، بعض الناس قد يتساهل إذا رأى الخارجي على طاعة، إذا رأى المبتدع على طاعة، إذا رأى من كان على إحداثٍ في دين الله -سبحانه وتعالى- أنه على طاعة فقد يغتر به.

لذلك لما سئل أحمد -رحمه الله عز وجل- لما جاءه ذاك الرجل فقال يا أبا عبد الله إن رجلًا من جيراني يجالس فلانًا وقد حذرتني منه ويريد هذا الجار أن يسمع كلامك فيه، يقول الراوي انتفخت أوداجه يعني من؟ أحمد -رحمه الله- واحْمَرَّ وجهه كل ذلك تعظيمًا للسنة، قال الراوي:

انتفخت أوداجه واحمر وجهه وقال: "أويه أويه أويه إن فلانًا فيه كذا وكذا" والقصة معروفة قد ذكرها صاحب طبقات الحنابلة.

الشاهِد أن الأئمة -رحمهم الله- كانوا يُحذِّرون ويَحذرون حتى وإن كان عند الإنسان شيء من الخير، لذلك لما قال أحمد: "أويه أويه أويه قال: لا تغتر بطأطأة رأسهِ ولا بتخشعهِ، لقد صَحِبَهُ فلان فأضله، وفلان فأضله، وفلان فأضلهُ".

لذلك ذكر الشاطبي-رحمه الله عز وجل- كذلك الذهبي عن بعض السلف قال: "صحبة أهل الأهواء تورث الإعراض عن الحق" تجد في أول الأمر أن هذا الرجل يصاحب أهل الأهواء ويُسهل في مصاحبة أهل الأهواء، الحمية السابقة للسنة والغيرة السابِقة للعقيدة الإسلامية تجد أنها بعد فترة من الزمان تقل وذلك لصحبتهِ لأهلِ الأهـواء والبِدع، وللمخالطة لأهل الأهواء والبدع، فكما قال السلف -رحمهم الله- : "صحبة أهل الأهواء تورث الأعراض عن الحق" وسنذكر -بإذن الله تعالى- في ثنايا هذهِ الكلمة أن من الصوارف عن الحق صحبة أهل البدعِ والاغترار بأهل البدع والأهواء، وذكرت الخوارج والاغترار بالخوارج؛ لأن الخوارج عندهم شيء من التعبد والتنسك، وعندهم طاعة وعندهم عِبادة، وعندهم كذلك كما جاء في الأحاديث عن رسول الله-صلوات ربي وسلامه عليه- في الخوارج.

قال شيخ الإسـلام مع ماعِند الخـوارج من التخشع وما عند الخوارج كذلك من التنسك وماعند الخوارج من اجتهاد في الطاعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فإن الأمةَ متفقون على ذم الخوارجِ وتضليلهم" ليس هناك خلاف عند الأمة أن الخوارج ضُلال، قال شيخ

الإسلام: **"فإن الأمة متفقون على ذم الخوارجِ وتضليلهم، وإنما تنازعوا في تكفيرهم على قولين مشهورين في مذهب مالك وأحمد، وفي مذهب الشافعي أيضًا نزاعٌ في كفرهم".**

أما في التضليل وفي كونهم من أهل البِدع والأهواء فإن ذلك باتِّفاقِ أهل السنة وباتفاقِ الأمة، وإنما وقع الخلاف بلا شك في تكفير الخوارج، ولأحمد -رحمه الله- روايتان في التكفيرِ وفي عدمِ التكفيرِ.

ولقد حذرنا النبي-صلوات ربي وسلامه عليه- من الخوارج، وحذرنا كذلك منهم الخلفاء الراشدون، وحذرنا أيضًا منهم الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم- ومن تبعهم بإحسان، كلٌّ يحذر من هذهِ الفِرقة المارِقة وهذهِ الفرقة الضالة، فالخوارج الأنجاس الأرجاس وقد وصف الآجري -رحمه الله عز وجل- في كتاب الشريعة الخوارج بأنهم: **"الأنجاس الأرجاس"** فالخوارج الأنجاس الأرجاس يخرجون على الأمراء، ويكفرون أهل الإسلام، ويستحلون قتل أهل الإسلام ولو كان هذا المسلم صائمًا، ولو كان هذا المسلم مصليًا، ولو كان هذا المسلم مُقبِلًا على طاعته لله- سبحانه وتعالى-؛ لأن مبدأ الخوارج هو أنهم يكفرون في الأصل كل من خالفهم، لذلك وجدنا في رمضان السابق والذي قبله أن الخوارج قد قتلوا من قتلوا من أهل الإسلام، وقد فعلوا مافعلوا في أهل الإسلام، كما فعلوا عندنا في السعودية في منفذ الوديعة لما قتلوا من قتلوا في نهارِ رمضان في يوم جمعة، وهذا كله منهم؛ لأنهم قد استحلوا دِماء المسلمين؛ لأنهم قد كفروا أهل الإسلام، لذلك خطرهم عظيم في هذهِ الأبواب في أبوابِ التكفير، وفي أبوابِ الخروجِ عن طاعة ولاة الأمور وفي استحلال دماء أهل الإسلام.

فأول قرنٍ طلع منهم على عهد رَسُولِ اللهِ -صَلَوْاتُ رَبِيِّ وَسَلَامَهُ عَلَيْه- هو رجلٌ طعن على رَسُولِ اللهِ -صَلَوْاتُ رَبِيِّ وَسَلَامَهُ عَلَيْه- وهو يُقسِّم الغنائم، كما صح ذلك في الصحيحين من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرضاهُ- قَالَ: «أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟!» وقد سألت سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ- في عام ألف وأربعمائة وتسعة عشر هجريًا في الصيف في الطائف عن ذي الخويصرة التميمي هل يُعد من صحابة رَسُولِ اللهِ -صَلَوْاتُ رَبِيِّ وَسَلَامَهُ عَلَيْه-؟

فأجابني الشيخ بجوابٍ ماتع، وأنا أقول لبعض الإخوان أن هذا الجواب يصلح أن يكون يُشرح؛ جواب مختصر ومركز لكنه جواب ماتع مانع وكذلك ينتفع به الإنسان، قال -رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَل-: **"هو كافرٌ بالله؛ لأنه قد وصف النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالجور"** ثم انظروا إلى كلام العالم: **"إلا أن يكون قد تَّاب"** عبارات قليلة ولكن فيها معانيَ والله كثيرة! ولم يسكت، لم يقل كافرٌ بالله وسكت وعلل ذلك بأنه وصف النبي-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالجور، ثم ذكر من بعد ذلك ذكر ما يذكره أهل السنة من استثناءات: **"إلا أن يكون قد تَّاب"**.

لذلك مال كثيرٌ من أهل العلم إلى تكفير الخوارج؛ لأنهم يستبيحون الدماء، ويستبيحون الأعراض، ويستبيحون الأموال، ويستبيحون الشيء الكثير من الحرمات، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَوْاتُ رَبِيِّ وَسَلَامَهُ عَلَيْه-: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟! قَدْ خِبْت وَخَسِرْت إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا» ثم ذكر

لهم أوصاف هؤلاء الأصحاب: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ» علامات في الظاهر علامات إقبال وصلاح! ويقول هذا الأمر للصحابة: «فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُأَحَدُكُمْ» أنتم يا صحابة رسول الله!

أنتم يا صحابتي فهؤلاء سادات الأولياء، يقول لهم رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ» عندهم قراءة للقرآن ولكن لا يجاوز تراقيهم، إنما القراءة باللسان ولا ينزل ذلك إلى القلب فيحصل فيه التدبر، التراقي هذه هي يبقى فقط عند اللسان ولكن لو نزل هذا القرآن إلى القلب فإن القرآن فيه الشفاء، وفيه الهداية، وفيه الرحمة ولكن هؤلاء قرءوا القرآن و لم يتدبروا ما في القرآن!

لذلك كان من فساد الناس إذا كَثُرَ القراء وقل الفقهاء، كما جاء عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ وَأَرْضاهُ- كما جاء في الصحيح لما قال أنس: «فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ» وجاء عن عبد الله بن مسعود أنه قال:"**إذا كَثُر القرَّاء وقل الفقهاء، وليس زمان أخصب من زمان، أكثر مالًا أو أكثر دنيا وإنما ذلك إذا كثر القرَّاء وقل الفقهاء**" هنا يكون الفساد في الناس إذا كُثر القرَّاء، كلٌّ يقرأ كل يكون عنده شيء من القراءة، ولكن ليس عنده شيء من الفقه في دين الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فإنه إذا تفقه الإنسان الفقه في شرع الله على كتاب الله وعلى سنة رَسُولِ اللهِ -صَلَوْاتُ رَبِيِّ وَسَلَامَهُ عَلَيْه-فإنه قد حاز الخيرية، لذلك قد ثبت عن رَسُولِ اللهِ-صَلَوْاتُ رَبِيِّ وَسَلَامَهُ عَلَيْه -: «مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ- : **"ومن لم يرد به الله خيرًا لا يفقهه في الدين"** وقال هذا تلميذه ابن القيم، وقال هذا أيضًا الشيخ ابن باز، وكذلك قال قوله الحافظ ابن حجر -رحمهم الله جميعًا- **"من لم يرد الله به خيرًا لا يفقهه في الدين"**، أي الخيرية الكاملة فإن الإنسان لا يتوجه إلى الفقه في دين الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فلو كان عنده فقه في دين الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وهذا الفقه مبني على كتاب الله وعلى سنة رَسُولِ الله -صَلَوْاتُ رَبِيِّ وَسَّلَامَهُ عَلَيْه- على فهم السلف الصالح فإن ذلك بإذن الله -سبحانه وتعالى- ينجيه من كثير من الفتن، وينجيه من كثير من الشبهات، وينجيه من كثير من الشهوات، ولكن من يطلب هذا الفقه الذي هو في دين الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؟!

من يكون على جدٍ واجتهاد في البحث عن هذا الفقه الذي هو في دين الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؟!

وهناك كلمة دائمًا نرددها أن المحبين للعلم كثير ولكن الذين يطلبون العلم قليل!

تجد أن كثيرًا من الناس يُحبون العلم، ولكن هل طلبوا العلم على الجادة التي طلبها السلف؟ هل طلب العلم على سنن وعلى طريقة السلف؟!

فالعلم محبوه كثير ولكن طالبي العلم قليل؛ لأن العلم يحتاج إلى جد ويحتاج إلى حزم فإذا وفق الطالب بعد الإخلاص لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- والمتابعة لرَسُولِ الله -صَلَوْاتُ رَبِيِّ وَسَلَامَهُ عَلَيْه- إذا وُفق الطالب للجد والحزم في العلم فإنه سيحصل خيرًا كثيرًا .

لذلك قال يحيى بن أبي كثير اليمامي -رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ- وهى كلمةٌ مشهورة قال: **"لا يُنال العلم براحةِ الجسد"** ذكرها الإمام مسلم -رَحِمَهُ اللهُ عز وجل- في كتاب الصلاة مع أن مسلمًا لا يذكر بعد المقدمة إلا الحديث السرد، ولكنه ذكر هذا القول عن يحيى بن أبي كثير اليمامي -رَحِمَهُ اللهُ- في كتاب الصلاة بعد أن ذكر كثيرًا من الروايات والأسانيد في الصلاة، ثم قال يحيى بن أبي كثير اليمامي: **"لا ينال العلم براحةِ الجسد"** كأنه يقول: هذه المرويات، وهذه الأسانيد، وهذه الروايات لم أحصل شيئًا منها بالدعة وكذلك الكسل وإنما حصلت هذه المرويات الكثيرة بالجد والاجتهاد والحزم في طلب العلم، فكأن هذه المناسبة ذكرها من أجلها مسلم -رَحِمَهُ اللهُ- في صحيحه في كتاب الصلاة، يُنبه طالب العلم على أنه هذه الروايات والمرويات والأسانيد التي قد جمعتها في هذا المكان لم يكن الجمع مني وأنا كنت على راحة وعلى سكون وعلى إقبال على الدنيا وإدبار عن طلب العلم، وإنما حصل ذلك لي لأني قد اجتهدت وقد حصل مني الحزم وبذل الوسع في طلب العلم.

وكان شيخنا الشيخ عبد المحسن العباد -حفظه الله-، والشيخ خالد تزامنا نحن وإياه قبل أكثر من عشرين سنة عند شيخنا عبد المحسن العباد، شيخنا الشيخ عبد المحسن شعر ساقيه غير موجود وذكر لي ابنه عبد الرزاق أن ذلك من كثرة جلوسه في المكتبة على ساقيه حتى سقط شعر ساقيه، وذلك كله اجتهاد في طلب العلم، وبحث وقراءة وجلوس في المكتبة، وجلوس إلى القراءة، لذلك علماء السنة هذه هي طريقتهم أنهم يتوجهون في أول الأمر إلى العلم الشرعي ثم يوجهون طلابهم إلى ذلك؛ لأنه بإذن الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن بعد الإخلاص لله -عَزَّ وَجَلَّ-

وبعد المتابعة لرَسُولِ اللهِ -صَلَوْاتُ رَبِيِّ وَسَلَامَهُ عَلَيْه- أن العلم مخرجٌ من كثير من الشبهات ومخرجٌ كذلك من كثير من الشهوات، وهذا كما يقال استطرادًا من ذكر خوارج.

واذكر شيخنا الشيخ محمد أمان -رحمه الله عز وجل- لما كان يدرسنا العقيدة الواسطية، ومعلوم العقيدة الواسطية يعني قد يكون فيها تقرير لكلام أهل البدع وكلام لأصحاب المقالات وإلى غير ذلك، ولكن لم يكن الشيخ -رحمه الله- يُغفل قضية تقريب الطالب إلى الله -سبحانه وتعالى-؛ لأن العلم هو الخشية كما قال أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود -رحمه الله- قال: "العلم الخشية"،

وقال الله-سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ فاطر: ٢٨، فكان -رحمه الله- إذا ذكر لنا بعض الصفات وبعض الأسماء كقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى: ١١، ينبه على أن الله سميع بسمع، وأن الله بصيرٌ ببصر، كذلك ينبه على أثر الصفة فإذا كان الله سميعًا فلا يكون منك يا عبد الله المعصية لله -سبحانه وتعالى-، وإذا كان الله بصيرًا فلا يكون منك يا عبد الله أن تعصي الله -سبحانه وتعالى-، وهذا أثرُ الصفة فكان الشيخ -رحمه الله- وهذا الأمر من ميزات شرحه -رحمه الله عز وجل- وكان ينبه على شيء عظيم في الخشوع كان يقول لنا دائمًا أنك تجد الرجل في الصف الواحد مع آخر في صفٍ واحد، وراء إمامٍ واحد، في صلاة واحدة، والمنكب بالمنكب، والكعب بالكعب، والإمام يقرأ قراءة واحدة ولكن بين الرجلين ما بين السماء والأرض هذا خاشع وهذا لاهٍ، مع أنهم في صلاة

واحدة وراء إمامٍ واحد، والأقوال والأفعال الظاهرة واحدة في الركوع والسجود والقيام واحدة، ولكن هذا خاشع لله-سبحانه وتعالى- وهذا لاهٍ.

فالشاهد أن هذا هو ما كان يقرره علماء أهل السنة مع الإخلاص لله -سبحانه وتعالى- والمتابعة، كذلك ما يكون عندهم من الخوف والبعد عن الفتن بخلاف هؤلاء الخوارج فإنهم وإن كان عندهم نوعٌ من الإخلاص، ولكن ليس عندهم المتابعة لرسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه-.

وفي رواية في الحديث السابق قال: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ» قال النووي -رحمه الله- في قوله لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد، قال -رحمه الله-: **"أي قتلًا عامًا مستأصلًا إياهم"**.

كذلك قد جاء عن سعيد بن جمهان قال أتيتُ عبد الله بن أبي أوفى- استمعوا إلى هذه القصة فإنها قصة فيها فوائد عظيمة- قال سعيد بن جمهان: **"أتيت عبد الله بن أبي أوفي فسلمتُ عليه، فقال: من أنت؟ فقلتُ: أنا سعيد بن جمهان، قال: ما فعل أبوك؟ يسأله عبد الله بن أبي أوفي -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- ما فعل أبوك؟ قال: قتلته الأزارقة** ومعلوم أن الأزارقة من فرق الخوارج، **فقال عبد الله بن أبي أوفى: لعن الله الأزارقة مرتين أو ثلاثة لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة، حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنهم كلاب أهل النار، قلتُ: يقول سعيدُ بن جمهان: الأزارقة وحدها أم الخوارج كلها؟ قال: بل الخوارج كُلها، قال: قلتُ -وانظروا إلى قول سعيد وقارنوه بزماننا- قال سعيد: قلتُ: فإن السلطان يظلمُ الناس،** هذه الشبهة أليست موجودة عندنا؟ بلا شك، **قال: فإن السلطان يظلم الناس ويفعل بهم، قال: فتناول**

يدي فغمزها بيده غمزة شديدة، هذا الصحابي الجليل ليس هو من علماء السلطان كما يصف بعض المخذولين يصف علماء أهل السنة والجماعة بأنهم علماء السلطان أو علماء السلاطين أو علماء الحكام أو علماء البلاط أو علماء كذا وكذا، فإن عبد الله بن أبي أوفى -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- يقول عنه سعيد فتناول يدي فغمزها بيده غمزة شديدة، ثم قال: ويحك يا ابن جمهان عليك بالسواد الأعظم"، ثم ذكر منهجًا ينبغي علينا جميعًا أن نسير عليه، وهذا قول صحابي -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-،وهذا القول هو داخل في أحاديث كثيرة عن رسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه- قال عبد الله بن أبي أوفى: "إن كان السلطان يسمعُ منك فأتهِ في بيته فأخبره بما تعلم فإن قبل منك وإلا فدعهُ فإنك لست بأعلم منه"، وهذا موافق لحديث عياض الذي فيه النصيحة للسلطان سرًا الذي رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة، وهذا الأثر الذي هو فيه حديث إنهم «كِلَابُ النَّارِ» رواه أحمد في مسنده وهو حديثٌ حسن أو صحيح.

كذلك عن أبي غالب قال رأى أبو أمامة رءوسًا منصوبة على درج مسجد دمشق فقال أبو أمامة -رضي الله عنه-: "كلابُ النار شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه، ثم قرأ ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ آل عمران: ١٠٦" رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما وصحح إسناده العلامة الألباني -رحمه الله عز وجل-، لذا قال الإمام أحمد -رحمه الله عز وجل- صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه، وقال ابن أبي شيبة: وذكرتُ هذا الأثر بإسناده لأن فيه فوائد، وهو أثرٌ صحيح، قال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا حماد بن سلمة قال عن سعيد بن جمهان قال: "كانت الخوارج قد دعوني -دعوا من؟ سعيد بن جمهان، وأبوه قتلته

مـن؟ الخـوارج- **كانت الخوارج قد دعوني حتى كدتُ أن أدخل فيهم فرأت أخت أبي بلال**- وانظروا إلى هذه القصـة وإسـنادها صـحيح- **فرأت أخت أبي بلال في المنام كأنها رأت أبا بلال أهلبا فقلتُ يا أخي ما شأنك؟**لأنه كان مع الخوارج أخوها قالـت إنهـا رأتـهُ في المنـام أنـه مـاذا؟ أهلب- **قالت يا أخي ما شأنُك؟ قال لها: جُعِلْنَا بعدكم كلاب أهل النار"**، فهذه الرؤيـة موافقـة لحديث رسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه- الخوارج كلاب النار، رأته أهلب مثل الكلاب فهذا الذي قد جعل من؟ قد جعل سعيد بن جمهان يرجـع عـن الـدخول مـع الخـوارج، وهـذا كذلك حتى وإن لم ترَ أخت أبي بلال أخاها في النار، فإن قـد حـدثنا مـا جـاء عـن رسـول الله - صلوات ربي وسلامه عليه- وقد جاءنا عـن رسـول الله -صـلى الله عليـه وسـلم- أن الخـوارج كلاب النار وهذا تحذيرٌ عظيم.

لذلك قال عبيد الله بن أبي يزيد قال: سمعت ابن عباس وذُكِرَ له الخوارج وذُكِرَ اجتهاد الخوارج وذكر صلاة الخوارج فقال: **"ليس هم بأشد اجتهادا من اليهود والنصارى وهم على ضلالة"**.

هذا هو فقه السلف، لم يغتر ما قال والله إن هذا الرجل صاحب طاعة صاحب عباده ولا يجوز لنا أن يحصل لنا الغيبة لهذا الرجل أو أن نغتاب المسلمين لا، قال لأنه على علم وعلى طريقة وعلى نهج رسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه- قال: **"ليس هم بأشد اجتهادًا من اليهود والنصارى وهم على ضلالة"**.

ذلك قد جاء عن عبدالله بن عباس قال: **"الهوى كله ضلالة"** لأن الهوى يحصل أنه يُردي صاحبه-عياذًا بالله- في النار، قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- بعض الناس يحصل أنه

يتساهل مع الخوارج ويشتد على أهل السنة العُصاة، إن رأى رجلًا عاصِيًا قد سمع شيئًا من الموسيقى أو اقترف شيئًا من المعاصي والذنوب يشتد عليه ويتساهل مع الخوارج، هذا قد يحصل من بعض الناس؛ لأنه يغتر بلحيته ويغتر بتخشعه وتنسكه ولكن علماء السلف لم يغتروا بهذا أبدًا.

لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "إنَّ أَهْلَ الْبِدَعِ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي الشَّهْوَانِيَّةِ"، وهل هذا خِلاف عند أهل السنة؟ لا، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "إنَّ أَهْلَ الْبِدَعِ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي الشَّهْوَانِيَّةِ بِالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ"، ليس فقط أن ذلك قد جاء عن بعض السلف لا، إنما بالسنة والإجماع أن أهل البدع وأهل الأهواء شر من أصحاب المعاصي الشهوانية، قال مُعللًا لذلك الذي جاء في السنة قال: "فَإِنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمَرَ بِقِتَالِ الْخَوَارِجِ وَنَهى عَنْ قِتَالِ أَئِمَّةِ الظُّلْمِ" مع أنهم أئمة ظلم عندهم ظلم وعندهم معاصٍ لكن أمر بقتال الخوارج ونهى عن قتال أئمة الظلم، يقول شيخ الإسلام: "فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر بقتال الخوارج، ونهى عن قتال أئمة الظلم، وقال في الذي يشرب الخمر: «لَا تَلْعَنْهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ»" هذا هو الفقه في دين الله -سبحانه وتعالى-، وقال في ذي الخويصرة مع أنه قال: «يُحَقِّرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ»، وذكر حتى إنه قد جاء في بعض الروايات أن الجباه كالركب من شدة الطاعة والعبادة والتقرب والسجود ومن ذلك يقول شيخ الإسلام: وَقَالَ فِي ذِي الخويصرة: «يَخْرُجُ مِنْ ضئضئ هَذَا أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ -وَفِي رِوَايَةٍ مِنْ الْإِسْلَامِ- كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمْيَةِ

يُحَقِّرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ -مع كل هذه الأوصاف- فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

لذلك شيخ الإسلام نص على أن كما سمعنا جميعًا نص قال: "إِنَّ أَهْلَ الْبِدَعِ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي الشَّهْوَانِيَّةِ بِالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ"، ثم دلل على ذلك ما جاء في السنة عن رسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه-، وقال أيضًا شيخ الإسلام -رحمه الله- وسأكثر في النقل عن شيخ الإسلام؛ لأن بعض أهل الأهواء ينسبون لشيخ الإسلام أنه -رحمه الله- هو مصدر الدواعش وهذا من أبطل الباطل، فإن شيخ الإسلام من أكثر الناس ردًّا على الخوارج، ومن أكثر الناس تحذيرًا من الخوارج، ومن طالع مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أو أنه في المكتبة الشاملة كتب الخوارج ستخرج له نتائج كثيرة جدًا عن شيخ الإسلام في الرد على الخوارج، فالنقل عن شيخ الإسلام فيه فائدة لأهل السنة عظيمة؛ لأنه من الأئمة المُحققين، كذلك فيه ردٌ على بعض أهل الأهواء الذين يزعمون أن داعش إنما الذي كان منهم من تقريرات شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، وهذا من أبطل الباطل.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله عز وجل- قال: "وَالْخَوَارِجُ هُمْ أَوَّلُ مَنْ كفَّر المسلمين يُكفِّرون بِالذُّنُوبِ وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي بِدْعَتِهِمْ وَيَسْتَحِلُّونَ دَمَهُ وَمَالَهُ".

وهذا واقع الآن العيان ما يفعله داعش، ما تفعله جبهة النصرة، ما يفعله جماعة الإخوان المسلمين، قد لا يكون منهم تكفير للمسلمين على الظاهر لكنّهم يكفّرون من خالفهم، ويستبيحون دمه، ويستبيحون ماله، هذه العبارة قد ذكرها شيخ الإسلام -رحمه الله عزّ وجل- في مجموع الفتاوى قال: "والخوارج هم أوّل من كفّر المسلمين، يكفّرون بالذنوب ويكفّرون من

خالفهم في بدعتهم ويستحلّون دمه وماله"، وهذا أمرٌ واقعٌ الآن وقبل الآن إذا خالفهم الإنسان استحلّوا دمه، واستحلّوا ماله، واستحلّوا كذلك عرضه، ويكفِّرون من خالفهم قال شيخ الإسلام: "وهذا حال أهل البدع يبتدعون بدعةً ويكفِّرون من خالفهم فيها" هذا حال عام، حتى عند الجهميَّة يبتدعون بدعة ثمَّ يكفِّرون من خالفهم فيها.

قد يقول قائل: أهل السنَّة أيضا يكفِّرون، أهل السنّة هل ابتدعوا بدعةً وكفّروا من خالفها، أم أنَّهم قالوا بالتكفير؛ لأنَّ النَّاس قد خالفوا الكتاب والسنَّة ووقعوا في مُكَفِّرٍ؟!

لذلك أهل السنّة كفّروا ليس لكونهم ابتدعوا بدعة وكفَّروا من خالفهم في هذه البدعة لا، فإنَّ أهل السنَّة -رحمهم الله- أخذوا اعتقادهم من الكتاب والسنَّة ومن خالف بدَّعوه، وإذا كان يستحق التكفير كفَّروه ليس لكونهم ابتعدوا ولكن لكون هذا المخالف قد خالف كتاب الله وقد خالف سنَّة رسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه -.

ففرق بين الفريقين، فلا يقولنَّ قائلٌ كذلك أهل السنَّة يكفِّرون، لا نحن لا نكفِّر لأنّهم خالفونا في بدعنا لأنَّ أهل السنَّة ليس عندهم بدعة أصلًا وإنَّما لكونهم خالفوا الكتاب والسنّة فاستحقوا الوصف الذي من أجله قد خالفوا، فإن كانوا استحقوا البدعة كانوا من أهل البدع وإن استحقوا أن يكونوا كفَّارًا كانوا كفَّارًا.

يقول شيخ الإسلام بعدها قال: "وأهل السنّة والجماعة يتّبعون الكتاب والسنّة ويطيعون الله ورسوله فيتَّبعون الحق ويرحمون الخلق" بخلاف أهل البدع والأهواء فإنَّهم لا يتَّبعون الكتاب والسنَّة؛ وإنَّما يتَّبعون آرائهم، ويتَّبعون بدعهم، ويتَّبعون أذواقهم، وذلك من

الأصول المقرَّرة أنَّ أهل السنَّة يستدلُّون ثمَّ يعتقدون، أي أنهم يأخذون اعتقادهم من الدليل، وأمَّا أهل البدعة والأهواء والشقاق والفتن إنَّما يعتقدون ثمَّ يبدءُون يحشدون الأدلَّة لاعتقادهم، بخلاف أهل السنَّة فإنَّهم ينظرون في الأدلَّة الشرعية ثم يعتقدون ما دلَّت عليه هذه الأدلَّة الشرعية.

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله– أيضًا في الخوارج قال: **"وإنَّ قتال الخوارج ممَّا أمر الله به -صلى الله عليه وسلم-، ولذلك اتفق على قتالهم الصحابة والأئمَّة"** فقتال الخوارج قُربة فمن كان في وظيفة جندي أو وظيفة عسكري أو وظيفة كذا، ثمَّ أتاه خارجيٌّ من هؤلاء الخوارج فقد جاءه الأمر من وليِّ الأمر بقتالهم فإنَّ قتالهم قربة بنصِّ حديث رسول الله –صلوات ربِّي وسلامه عليه– وباتفاق الصحابة والأئمة، يقول شيخ الإسلام –رحمه الله– قال: **"وإنَّ قتال الخوارج ممَّا أمر به -صلى الله عليه وسلم-** فقط؟! **ولذلك اتفق على قتالهم الصحابة والأئمة"** اتفقوا على قتال الخوارج.

ولقد فقه سلف هذه الأمَّة هذا التوجيه النبوي الكريم بشأن الخوارج فوقفوا لهم بالمرصاد فلمَّا ظهروا وعظوهم وناظروهم، كما فعل ابن عبَّاس لَمَّا أرسله علي بن أبي طالب قال لابن عباس لَمَّا أرسله: **"جادلهم بالسنَّة فإنَّ القرآن حمَّال ذو وجوه"**، فذهب ابن عباس وناقش الخوارج وناظر الخوارج، ويقول أهل العلم أنهم كانوا ستة آلاف خارجي رجع الثلث، الثلث منهم، فلما لم يعودوا عن غيهم ماذا فعلوا؟ بعض الناس الآن يقول واجه الفكر بايش؟ ليس على

كل حال أن يواجه الفكر بماذا؟ بالفكر، إذا كان الفكر يصلح أن يواجه بالفكر والمناقشة والمحاورة هذا جيد كما فعل من؟ ابن عباس مع الخوارج.

يقول أهل العلم-رحمهم الله-: يناظروا ويحصل من السني الوعظ لهم قالوا فإن لم يعودوا عن غيهم قاتلوهم وقتلوهم، قطعًا لدابر الفتنة والفساد ونصيحة للأمة في كل مجتمع وناد، وحماية للدين من شبهات المبطلين وتلبيسات المفسدين، لذا يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- الخوارج المارقون الذين أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

أرسل ابن عباس في أول الأمر، ثم لما رجع من رجع بقي منهم من بقي من بعد ذلك قاتلهم -رضي الله تعالى عنه وأرضاهم-.

الخوارج أعظم ما عندهم من الشبهات شبهة التكفير والمسارعة إلى التكفير، وهذه الفرقة الضالة والفرقة المارقة لما حصل منها التكفير حصل ما نراه جميعًا في بلدان المسلمين من التفجير والتخريب ومن استباحة الأموال وتخريب المنشآت، كذلك ما يكون من إزهاق الأرواح البريئة، ومن قتل المعاهدين، ومن قتل الذميين، ومن قتل المستأمنين، بل ومن قتل في بعض الأحيان يصل القتل إلى أئمة المساجد وذلك لأنهم ماذا؟ يكفرون من؟ كما ذكرنا عن شيخ الإسلام يكفرون من خالفهم فيصل هذا الأمر كله إلى قتل أهل الإسلام، واستباحة أموال أهل الإسلام، واستباحة أعراض أهل الإسلام، واستباحة دماء أهل الإسلام، واستباحة أموال أهل الإسلام،

وهذا يعني قد يرجع في كثير من المسائل إلى التكفير، ونرد على ما يكون من هؤلاء المكفرة من وجوه :

الوجه الأول:

أن التكفير حكم شرعي مرده إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله فكذلك التكفير حكم شرعي أيضًا، كما أن ليس أحد منا يستطيع أن يقول هذا حرام وهذا واجب إلا بدليل فكذلك لا يصح لأحد منا أن يقول هذا كافر أو هذا يكفر إلا بدليل؛ لأنه حكم شرعي.

قال أهل العلم: إن التكفير حكم شرعي مرده إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله فكذلك التكفير وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل يكون كفرًا أكبرَ مخرجًا من الملة، قد يكون كفرًا ماذا؟ أصغر كفر دون كفر فليس كل ما وصف أنه كفر أن يكون كفرًا أكبرَ، فلما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله لم يصح لنا أن نكفر أحدًا إلا إذا دل الكتاب والسنة على كفره دلالةً صريحة، وليس هذا التكفير لنا نحن الصغار وإنما التكفير مرجعه إلى الكبار.

الوجه الثاني:

بناء على ما سبق من أن التكفير حكم شرعي فلا يكفي في ذلك إذًا مجرد الظن والشبهة لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، وإذا كانت الحدود تُدْرَأ بالشبهات مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير، فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات، من دخل في الإسلام بيقين لا يخرج منه إلا بيقين، لذلك يقول ابن باز -رحمه الله عز وجل- وهذه الكلام نقلت أكثره من

كلام الشيخ ابن باز -رحمه الله عز وجل- قال: **"وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات".**

لقد حذر النبيُّ-صلى الله عليه وسلم- أمته من التساهل في تكفير المسلمين، أو التهاون في الأحكام عليهم بذلك بما هو أعظم زاجر وأكبر واعظ، فيقول -صلوات ربي وسلامه عليه-: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرِ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَت عَلَيهِ» رواه البخاري ومسلم.

ويقول -صلوات ربي وسلامه عليه-: «مَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»رواه البخاري في صحيحه.

الوجه الثالث:

قد يرد في الكتاب والسنة ما يُفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر؛ ولكن لا يُكفَّر من اتصف به، لم؟ قال أهل العلم لوجود مانع يمنع من كفره، قد يرد في الكتاب والسنة أن هذا الفعل أو القول كفر؛ ولكن لا يُكفَّر من وقع فيه، قال أهل العلم: لوجود مانع يمنع من كفره، وهذا الحكم كغيره من الأحكام التي لا تتم إلا بوجود أسبابها وشروطها وانتفاء موانعها، ثم قال أهل العلم تمثيلًا قال: كما أن الإرث سببه ماذا؟ القرابة، فإذا كان قريبًا وتوفرت الشروط فإنه يرث، قال أهل العلم: كما أن الإرث سببه القرابة مثلًا، وقد لا يرث بها لوجود مانعٍ، قد يكون قريبًا ولا يرث، قال أهل العلم: كاختلاف الدين، وهذا الكفر يُكره عليه المؤمن، فلا يكفر به، قد يُكره المؤمن على ماذا؟ على الكفر وهذا الإكراه من موانع التكفير فلا يكفر به، وقد

ينطق المسلم بكلمة الكفر لغلبة فرحٍ أو غضبٍ أونحوها، فلا يكفر بها لعدم القصد، كما في قصة الذي قال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ» رواه البخاري ومسلم.

فالتكفير حكم شرعي، وحق محض لله ولرسوله -صلوات ربي وسلامه عليه- وعلى هذا تواتر كلام أهل العلم، وتناقله الخلف عن السلف.

الوجه الرابع:

أن التسرع في التكفير يترتب عليه أمور خطيرة من استحلال الدم، والمال، ومنع التوارث، وفسخ النكاح، وغيرها مما يترتب على الردة، فكيف يسوغ لمؤمن أن يُقدم عليه لأدنى شبهة.

وإذا كان هذا الأمر في آحاد الناس، ففي ولاة الأمور أشد، لما يترتب عليه من التمرد عليهم، وحمل السلاح، وإشاعة الفوضى، وسفك الدماء، وفساد العباد والبلاد، ولهذا منع النبي -صلوات ربي وسلامه عليه- من منابذتهم يعني من منابذة ولاة الأمر، فقال: «إِلَا أَنْ تَرَوا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُم فِيهِ من الله بُرْهَان» رواه البخاري في صحيحه.

أفاد قوله -صلوات ربي وسلامه عليه-: «إِلَا أَنْ تَرَوا» أفاد أنه لا يكفي مجرد الظن والإشاعة، «إِلَا أَنْ تَرَوا» فإنه أفاد كما قال أهل العلم هذه اللفظة أنه لا يكفي الظن والإشاعة.

وأفاد قوله: «كُفْرًا» أنه لا يكفي الفسوق، ولو كان الفسوق كبيرة، فلابد أن يكون كفرًا «وَأَنْ تَرَوا كُفْرًا» والفسوق إن كبر كالظلم وشرب الخمور ولعب القمار والاستئثار المحرم، كل ذلك من الفسوق، وليس هو من الكفر بالله -سبحانه وتعالى-.

وأفاد قوله: «بَوَاحًا» ألا يكفي الكفر الذي ليس بواح أي ليس صريحًا ظاهرًا، فلابد أن يكون ماذا؟ «أَنْ تَرَوا كُفْرًا» ولا يكون هذا مبنيًا على الظن والإشاعة «أَنْ تَرَوا كُفْرًا» وهذا يكون كفرًا لا يكون فسقًا، كذلك قال: ثالثًا «بَوَاحًا» أي صريحًا ظاهرًا، ثم قال وأفاد قوله: «عِنْدَكُم فِيهِ من الله بُرْهَان» ليس مبنيًّا على الهوى أو على البدعة أو على الرأي، لا؛ «عِنْدَكُم فِيهِ من الله» بُرْهَان، كما يقول أهل العلم: "أنه لابد من دليل صريح بحيث يكون صحيح الثبوت، صريح الدلالة، فلا يكفي الدليل إذا كان ضعيف الإسناد، أو غامض الدلالة".

وأفاد قوله: «من الله» أنه لا عبرة بقول أحد من العلماء، مهما بلغت منزلته في العلم والأمانة إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح من كتاب الله أو من سنة رسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه-،وهذه القيود تدل على خطورة الأمر.

فهذه القضية قضية مهمة ومسألة عظيمة لا يجوز لكل أحدٍ اقتحامها، ذلكم أن التسارع في التكفير والوقوع فيه أو الخلط في أحكامه والكلام عنه بلا ضابط قرآني ولا فهم محمدي، ولا إجماع من أهل الحل والعقد، كل ذلك ينجم عنه شرور عظمى وفتن كبرى، فكم من فتن وقعت في بلاد المسلمين ووقعت في الأمة الإسلامية بسبب اعتقاد خاطئ في تكفير المسلمين!

وأختم هذه الكلمة وعذرًا على الإطالة بأقوال أهل العلم في مثل هذه المسائل، فقد تكاثرت أقوال أهل العلم المحققين في هذا الباب الخطير.

قال ابن عبد البر -رحمه الله عز وجل-: **"القرآن والسنة ينهيان عن تفسيق المسلم وتكفيره ببيان لا إشكال فيه.....** إلى أن قال: **فالواجب في النظر أن لا يُكفر إلى من اتفق الجميع**

على تكفيره" هل وقف عند هذا؟ قد يأتي إشكال أو دل على الكتاب والسنة، لذلك هذا فقيه – رحمه الله عز وجل– فقال: "فالواجب في النظر أن لا يكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره، أو قام على تكفيره دليل لا مدفع له من كتاب أو سنة" انتهى كلامه إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان.

وقال ابن ناصرالدين الدمشقي–رحمه الله عز وجل–: "فلعن المسلم المُعَيْن حرام، وأشد منه رميه بالكفر، وخروجه عن الإسلام وفي ذلك أمور غير مرضية –ثم عددها– رحمه الله– ثم ساق الأحاديث في الترهيب من التكفير ثم قال: "فهل بعد هذا الوعيد من مزيد في التهديد؟!" لما ذكر الأحاديث الواردة في الترهيب قال–رحمه الله–: "فهل بعد هذا الوعيد من مزيد في التهديد؟!".

وقال القرطبي–رحمه الله–: "وباب التكفير باب خطير أقدم عليه كثير من الناس فسقطوا، وتوقف فيه الفحول فسلموا ولا نعدل بالسلامة شيئا".

وقال ابن أبي العز الحنفي–رحمه الله عز وجل–: "واعلم أن باب التكفير وعدم التكفير باب عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الآراء والأهواء" انتهى كلامه – رحمه الله–.

وقال الشوكاني–رحمه الله–: "اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُقدم عليه إلا ببرهان أوضح من الشمس، أن تَرَوْا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان".

ويقول الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب–رحمه الله عز وجل–: "وبالجملة فيجب على من نصح نفسه" وهذا الكلام من إمام من أئمة الدعوة النجدية –رحمهم الله عز وجل–،

فإنهم كانوا يعلمون الناس السنة، ويعلمون الناس العقيدة الإسلامية الصحيحة، قال-رحمه الله عز وجل-، ومن يتهم الدرر السنية أنها فيها تكفير فليقرأ مثل هذا الكلام للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب-رحمه الله عزوجل-، وهذا فيه رد كما سوف نسمع الآن من كلامه في الدعوة، أنهم كانوا ينهون عن التكفير غير المنضبط، وأما أن نكون مثل المرجئة لا نُكَفِّر أبدًا !لا، من كفره الله ورسوله نكفره، لكن أعيد وأقول: ليس هذا لنا نحن الصغار، وإنما لكبار أهل العلم والفضل، ولا يتجاسر على ذلك أحد أبدا، وإنما هذا مرده ومرجعه إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله، وأن يكون هذا من العلماء الكبار، يقول الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب-رحمه الله-: **"وبالجملة فيجب على من نصح لنفسه** - انظر إلى الكلام فيه وعظ- **فيجب على من نصح نفسه ألا يتكلم في هذه المسألة** -أي التكفير- **إلا بعلم وبرهان من الله -جل وعلا-، وليحذر من إخراج رجل من الإسلام بمجرد فهمه واستحسان عقله، فإن إخراج رجل من الإسلام، أو إدخاله من أعظم أمور الدين،وقد استزل الشيطان أكثر الناس في هذه المسألة".**

كذلك قال الشيخ ابن باز-رحمه الله- ومعه جماعات من أهل العلم في بيان هيئة كبار العلماء في التفجير والتكفير،قال: **"وجملة القول أن التسرع في التكفير لهو خطر عظيم لقول الله – تعالى-:** ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ٣٣ .

والكلام في هذا الباب كلام طويل، وهناك عبارة جميلة للشيخ المحقق المدقق الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله عز وجل- في باب

التكفير، وفي باب تكفير أهل الإسلام، وأن ذلك ليس لكل أحد، وهذه العبارة منقولة في الدرر السنية، وكذلك في رسائل الشيخ-رحمه الله تعالى-.

هذا والله-سبحانه وتعالى- أسأل أن يوفقنا جميعا للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يوفقنا جميعا لاتباع كتاب الله وسنة رسول الله -صلوات ربي وسلامه عليه-، وأن يكون هذا الاتباع مبنيًّا على فهم السلف الصالح، والله تعالى أعلى وأعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا.